الشباب والعفة

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ **[الكهف:١٣].**

نحن في الخطبة الثامنة من سلسلة **قضايا الشباب**، تحدثنا لماذا هذه السلسلة, وعن الشباب والقرآن, والشباب وسنة سيدنا محمد ﷺ, وعن الشباب والعلم, والشباب والمسجد, والشباب والعمل, وعنوان خطبة اليوم: **الشباب والعفة**.

أيها الإخوة:

تقوى الأمم بالعلم، وتنهض الأمم بالعمل، لكنها تحيا بالأخلاق.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

تضعف المجتمعات بالجهل، وتكبو بالكسل، ولكنها تنهار بالفواحش والرذائل.

لذلك تحدثنا في هذه السلسلة عن الشباب والعلم؛ لأننا نريد أن يكون شبابُنا عالماً.

وتحدثنا فيها عن الشباب والعمل؛ لأننا نريد أن يكون شبابُنا فاعلاً.

ونحن اليوم نتحدث عن الشباب والعفة؛ لأننا نريد أن يكون شبابنا عفيفاً.

خَطَب "روبرت كراين" مستشار الرئيس نيكسون في نهايات القرن الماضي، هنا في مدينة دمشق في مسجد أبي النور فقال للجموع المحتشدة: إن أمريكا تحتضر، وهي ذاهبةٌ نحو الموت، وليس لها حلٌّ لإحيائها إلا الإسلام! نعم العلم عندهم كثير، والعمل عندهم وفير، لكن الطُّهر والعفة عندهم معدومانِ أو قريبان من العدم.

كيف لا، والإحصاءات عندهم تقول: إن ثلث المواليد غيرُ شرعيين, هذا يعني أن ثلث النساء عندهم ساقطات, وأن ثلث الرجال فاقدو العفة.

بينما تقول الإحصاءات: إن ربع المواليد في سائر الدول الغربية غير شرعيين، وفي انكلترا خمس المواليد وفي إسرائيل ثلث النساء زانيات.

شبه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة الحضارات بالإنسان, تولد, ثم تَشِبُّ, ثم تشيخ وتهرم, ثم تموت! فيقول إنها إذا ظهر فيها المجون والزنا والبذخ والترف، ونُزِعَ منها الطهر والعفة والنبل والخُلق فهي مؤشرات واضحة لذهابها نحو الهرم والموت.

لذلك –أيها الإخوة– نحن بحاجة إلى شبابٍ علماء عاملين مُحَصَّنِين بالطهر بالعفة.

حَدَّثَ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب ﷺ أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركبٍ من قريش- وكانوا تجاراً بالشام في الفترة التي صالح فيها رسولُ ا ﷺ قريشاً صلح الحديبة -وكان أبو سفيان يومها على شركه- فأَتَوا هرقل في مجلسه وحوله عظماء الروم, فدعا بترجُمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعمُ أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً, فقال: أَدنوه مني وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كَذَبني فكذِّبوه.

ثم راح هرقل يسأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ في حديث طويل أورده البخاري في "صحيحه" سأله عن نسبه, وعن أقواله, وعن أتباعه, وعن أعدائه, وعن حروبه, مع قريش ثم قال له: ماذا يأمركم؟

قال: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً, واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: فإن كان ما تقول حقاً فسيملك مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هاتين[1].

نعم أيها الإخوة: تقوى الأمم بالعلم وتنهض بالعمل, لكنها تحيا بالعفة والأخلاق.

تضعف الأمم بالجهل وتكبو بالكسل, لكنها تموت بالفواحش والرذائل.

من هنا جاء في كتاب "بروتوكلات حكماء صهيون", وهو كتابٌ يتحدث عن خطط الصهاينة في البلاد العربية الإسلامية جاء فيه:

إن كأساً وغانية يفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعله ألف مِدْفع.

إن أكبر الرجال علماً وعملاً يسقط عند أقدام المومسات إذا لم يحصنه الإيمان والعفاف.

نشرت إحدى المجلات العربية لقاءً مع شاب مجازٍ بهندسة الزراعة, وهو الأول على دفعته في بلدٍ عربي مجاور, تحدث هذا الشاب عن رحلةٍ علمية قاموا بها في وفدٍ من الجامعة إلى فلسطين المحتلة.

هذا الشاب من بلد أقام علاقات مع إسرائيل، إسرائيل طلبت من هذا البلد العربي أن يرسل خمسةَ عشرَ طالباً من المتفوقين الأوائل من خريجي كلية الزراعة عندهم؛ ليقوموا برحلة علمية لمدة أربعة أيام إلى الأراضي المحتلة وإلى الجامعات الإسرائيلية, لتبادل العلم والخبرات والاطّلاع على أحدث التقنيات الزراعية في الأراضي المحتلة.

---

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (7).

يقول هذا الشاب: ذهبنا خمسةَ عشر طالباً هم الأوائل في الكلية, كان في استقبالنا عددٌ مماثل من الطلاب الإسرائيليين, وبعض الأساتذة عندهم، وعميدُ الكلية, ومسؤولون في وزارة التعليم, وبعضُ الفتيات بارعات الجمال, أُخِذنا إلى فندق, وطُلِبَ إلينا الاستراحة في غرفنا على أن نلتقي بعد ساعتين في بهو الفندق للحديث عن البرنامج خلال هذه الأيام الأربعة.

في الاجتماع تحدث المدير الإسرائيلي للبرنامج -بعد أن رحب بنا- عن برنامج المحاضرات واللقاءات العلمية وزيارة الجامعة وحقول المزروعات والمخابر الزراعية, ثم أفادنا أنهم هيَّؤوا مرافِقةً من هؤلاء الفتيات لكلِّ طالب فينا؛ لتقوم بعملية الترجمة والإرشاد والدلالة السياحية في الأسواق لمن أحب منا أن ينزل إلى الأسواق!

يقول الشاب: بدأت المحاضرات لاحظت أن المعلومات التي يأخذها المحاضر منا أكثرُ من المعلومات التي يعطينا إياها، فمثلاً عندما حاضر أستاذ جامعي عندهم عن محصول البطاطا وتحسين الأنواع فيه... راح يسألنا كيف تزرعون البطاطا عندكم؟ ما أنواعها؟ كم تقدرون المحصول السنوي؟ ما أهم الأمراض عندكم؟ كيف تعالجونها؟ هل أدويتها محلية في بلدكم أو مستوردة؟... وهكذا!

ثم كانوا يأخذوننا إلى حقولٍ مختارةٍ وهي غايةٌ في الجمال والترتيب والتقنيات الحديثة للزراعة والسقي والري، كأنهم يريدون إبهارنا بأعمالهم؛ مما جعل بعضَ زملائي يقول مرة: يا هيك الزراعة يا بلا.

في اليوم الثاني للرحلة، وبينما كنت عائداً من إحدى المحاضرات باتجاه الفندق وكانت الفتاة المرافقة تمشي قربي خاطبتني قائلةً: إن مهمتي في مرافقتك أن أقدم لك كل الخدمات العلمية والإرشادية والترجمة والخدمات الخاصة إذا رغبت، فنظرتُ إليها نظرة المستغرب قائلاً: ماذا تقصدين بالخدمات الخاصة؟ فأشارت إلى صديقي الذي رأيته على قارعة الطريق جالساً عند شجرة مع مرافقته يقومان بأعمال مخالفةٍ للشرع.

فزجرتها وقلتُ: إنني هنا في عملٍ علمي! ثم تركتها وذهبت مسرعاً إلى غرفتي في الفندق.

عندما عاد صديقي نهرتُهُ وزجرته، وسألته كيف يقوم بهذا العمل السيء؟ فقال لقد أغرتني بكلامها وجمالها. قلتُ له: بماذا تحدثتُما؟ قال: لا شيء سوى الإعجاب والميل والحب، غير أنها سألتني: هل تتصور أن بلادكم تشنُّ حرباً يوماً على بلادي؟

هل يا ترى لديكم الإمكانات لذلك؟

ترى إذا وقعت حربٌ هل ستكون أنت في تلك الحرب مشاركاً؟

نعم أيها الإخوة, إن الأفراد يسقطون إذا سقطت أخلاقهم، وإن الدول تنهار إذا انهارت عفةُ شبابها، وإن الحضارات تذوي إذا شاع في أهلها الرذائل.

كان النبي ﷺ إذا بايع أصحابه قال: « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم .... ولكم الجنة**[1]».

وكان ﷺ يقول: «**عليك بالعفة**»[2], أي: الكف عن الوقوع في الحرام.

وكان يقول: «**إن الحياء والعفاف والعَيَّ – عيَّ اللسان لا عيَّ القلب –, والفقهَ من الإيمان**»[3].

وروى عبد الله بن عمرو قال ﷺ: «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة, وصدق حديث, وحسن خليقة, وعفةٌ في طهر**»[4]

وقال ﷺ: «**اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم, وغُضُّوا من أبصاركم، وكفوا أيديكم**»[5].

وفي القرآن نموذج – لا أسمى ولا أرقى ولا أطهر – للشاب المؤمن الجميل الوسيم الذي تدعوه امرأةٌ حسناء غنية وجيهة إلى نفسها بالحرام، وتهدده بالسجن إن لم يستجب فيقول: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣] إنه سيدنا يوسف عليه السلام الذي جعل الله اسمه اسم سورة في القرآن الكريم، وقال عنه ﷺ: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام**»[6]

---

(1) أخرجه بطوله البخاري في "صحيحه" برقم (18) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(2) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (3958) من حديث أبي ذر ﷺ.

(3) أخرجه الديلمي في "مسنده" برقم (526)

(4) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (6652).

(5) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (22757) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(6) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (3312) من حديث ابن عمر ب.

وفي حديث السبعة الذين هم في ظل الله يومَ لا ظل إلا ظله «**ورجل دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**».

أيها الإخوة الشباب, نحن كبارٌ بكم، وأنتم كبارٌ بالعفة.

أيتها الأخوات الشابات, نحن فخورون بكنَّ عندما تفتخرنَ بالطهر والاحتشام.

يا شباب المسلمين «**مَنْ يستعفف يُعفُّهُ الله**»[1].

يا شباب المسلمين ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور:٣٣].

يا شباب المسلمين ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

يا فتيات المسلمين ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

- «**يا أمة محمَّد والله ما من أحدٍ أغيرُ من الله تعالى أن يزني عبدُه أو تزنيَ أمتهُ, والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»[2].

في ختام هذه الخطبة:

كيف تحافظ أيها الشاب على العفة؟ وكيف تحافظين أيتها الفتاة على العفة؟

بل كيف نحافظ على عفة شبابنا؟

المطلوب منا أربعة أمور:

1- الصحبة الصالحة:

اجهد واجهدي أن يحيط بك أصحابٌ صالحون؛ فكلُّ الذين يقعون في الحرام دَلَّهم على الحرام أصحابهم, وكلُّ الذين اتجهوا نحو الخير وجههم إليه أصحابهم وقديماً قيل: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت.

2- تجنب الاختلاط:

أيها الإخوة, إن جمع الشاب مع الفتاة، إن لقاءهما، إن كثرة الكلام, وإن إرسال الرسائل, وإن إرسال النظرات .....كلُّه يؤدي إلى الحرام!

كل الحوادث مبداها ومعظم النار من مُستصغَرِ

---

(1) الحديث «ومن يستعفف....» أخرجه البخاري برقم(1469) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (5221), ومسلم في "صحيحه" برقم (2127) من حديث عائشة ل.

كم نظرة فعلت في فعلَ السهام بلا قوسٍ ولا
والمرء ما دام ذا عين في أعين الغيد موقوفٌ على
يسرُّ ناظرَهُ ما ضرَّ لا مرحباً بسرور عاد بالضررِ

3- ذم التبرج:

كتب لي أحد طلاب الجامعة يقول: إن منظر بعضِ طالبات الجامعة في لباسهن لا يُظهر أنهن قادماتٌ إلى جامعة للدراسة، بل كأنهن ذاهباتٌ إلى حفلة عرس.

إن التبرجَ -أيتها الأخوات- وإظهارَ المفاتن وكشفَ العورات ليست من سمات الصالحات, قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١] قال المفسرون: ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ أي الوجه والكفان.

قال ﷺ: «**إذا استعطرت المرأةُ فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا كذا** » قال الراوي: قال قولاً شديداً[1].

وقال: «**ما من امرأةٍ تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها**»[2]

4- دعم الزواج

لأن في دعم الزواج دعماً للعفة، وفي تعسير الزواج دعماً للرذيلة.

فمن استطاع أن يعين شاباً على زواجه بمال فليفعل.

ومن استطاع بجاهه فليفعل.

ومن استطاع بإرشاده فليفعل.

ومن لم يستطع فعليه بالدعاء.

أيها الإخوة الشباب هذه هي خطبة الشباب والعفة.

قال رسول ﷺ : « **عُرِضَ علي أولُ ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد, وعفيف متعفف» قال الشراح: أي: منزه عما لا يليق به، صابرٌ على مخالفة نفسه وهواه «وعبدٌ أحسن عبادة الله ونصح لمواليه**»[3].

---

(1) أخرجه أبو داود في "سننه", برقم (4173), وأحمد في "مسنده" برقم (19578) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (2803) من حديث عائشة ل, وأبو داود في سننه برقم(4010), وابن ماجه برقم (3750), وأحمد في "مسنده" برقم(24140).

(3) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (1642) من حديث أبي هريرة ﷺ , وقال حديث حسن. وأخرجه أحمد في "مسنده" برقم (9492).

والحمد لله رب العالمين